

## التكرار في نظم الحوار في سورتي (الكهف) و(مريم)

أ.م.د. علي عبد الفتاح الباحثة. نبا حميد بكيع

جامعة بابل/ كلية التربية العلوم الإنسانية

## Repetition in Conversation in the Suras of (Al-Kahaf) and (Mariam)

Asst. Prof. Dr. Ali Abdul Fatah Researcher Naba' Hameed Bkea'a

College of Education for Human Sciences/ University of Babylon

## Abstract

Repetition is used for affirmation in Arabic. The repetition in the Holy Quran is not redundant, on the contrary it is employed stylistically to deliver the intended meaning.

## المخلص

التكرار أسلوب من أساليب التوكيد في اللغة العربية يأتي في الكلام لتقرير المعنى، وإثباته في النفس، فهو من أهم وسائل الإقناع وقد شكّل أسلوب التكرار في القرآن ظاهرة أسلوبية، وآية من الحسن والبلاغة لا تملّهُ النفس، ولا تصدُّ عنه الأذن. وفي ضوء استقراء طائفة من آيات الحوار في سورتي (الكهف) و(مريم) نجد أن أسلوب التكرار في نظم الحوار في السورتين قد جاء بأنماط أسلوبية متنوعة تبعاً لتنوع المقام، والمخاطب، والمتلقي، فهي تبدأ من (الحرف ثم الكلمة ثم الجملة)، ونجد أنّ طائفة من الكلمات تكون معقداً للحوار ومنها (أما) التي تفيد التفصيل، فقد ثبت لنا بالنص القرآني أنها أساس للمحاورة التي يفصل فيها أحد طرفي الحوار القول في الكشف عن أحداث تستدعي البسط والتفصيل والتبيين، ومن هذه الكلمات ما يكون مكرراً في النص الحواري الواحد ليفضي على هذا النص دلالات إيحائية عميقة لا يقرأ المعنى إلا بها، ومن هذه الألفاظ المكررة ما يرد في نصوص حوارية منقطعة لا وحدة موضوعية فيها، ولم ترد في سياق واحد ولا في سورة واحدة فالغاية من الكشف عن هذه الألفاظ المكررة هو بيان أثرها في دلالة الحوار، وكشف مكنون معناها.

## المقدمة

التكرار أسلوب من أساليب التوكيد في اللغة العربية وعرف العرب التكرار في كلامهم، وجاء القرآن معضداً ذلك الأسلوب فشكّل التكرار ظاهرة أسلوبية في القرآن، وآية من الحسن والبلاغة لا تملّهُ النفس، ولا تصدُّ عنه الأذن. فهو من وسائل الإقناع المهمة، وأقربها إلى اليقين. وبعد دراسة الموضوع واستقراء لما جاء في نظم الحوار في سورتي (الكهف) و(مريم) من أسلوب التكرار، شرعت يرسم خطة البحث متناسبة مع طبيعة الموضوع، فقسمت البحث على أقسام عدة منها تكرر (الصوت، الحرف، الاسم الظاهر، الضمير، الفعل، الجمل) ولا أدعي أنني سأستوفي بالذكر مواضيع التكرار كلها في السورتين، فليست الغاية من دراستي هذه الإحصاء التوثيقي بالعرض الكامل، بل أردتُ أن أبين أن في هذا البحث (التكرار)، وأن لهذا الاستعمال بمستوياته المتعددة بحسب المكرر - أثراً دلاليّاً كبيراً يفصح عن معانٍ باطنية تستظهر من هذا التكرار، وعلى وفق المورد الذي يأتي فيه، ثم ختمت البحث بخاتمة ضمت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

## التكرار:

أسلوب من أساليب التوكيد<sup>(1)</sup> في اللغة العربية يأتي في الكلام لتقرير المعنى وإثباته، فهو من وسائل الإقناع المهمة. عرف العرب في كلامهم التكرار، وجاء القرآن معضداً ذلك الأسلوب، فشكّل التكرار ظاهرة أسلوبية في القرآن، وآية من الحسن والبلاغة، لا تملّهُ النفس، ولا تصدُّ عنه الأذن، يُعمد إليه مع الإيجاز والقصر، ترسيخاً وتقريراً وإقناعاً. فهو من وسائل الترسّخ والإقناع والإقرار، وأقربها إلى اليقين، وأشدّها إيحاءً<sup>(2)</sup>. وجاء التكرار في القرآن الكريم بأنماط أسلوبية متنوعة، تبعاً لتنوع المقام، والمخاطب، والمتلقي. فهي تبدأ من الحرف، ثم الكلمة أو اللفظ، ثم الجملة. ومن هذا النمط تكرر على مستوى الصوت المفرد.

(1) ينظر: البرهان: 9/3، ومن بلاغة القرآن: 112-113.

(2) ينظر: التفسير البياني في القرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن: 79/1، وفنون الألفان بين القرآن وكلام العرب، د. فتحي عبد القادر فريد: 36.

## 1- تكرر الصوت:

لا شك أنّ تكرر صوتٍ ما أكثر من مرة في النص القرآني له دلالات وإيحاءات متنوعة لا يمكن تغافلها بحال من الأحوال<sup>(1)</sup>؛ لأنّ تكرر الحرف في الكلمة له مزية سمعية وأخرى فكرية، الأولى: ترجع إلى موسيقاه وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يُسهّم في إظهار المعنى المراد. والأخرى: ترجع إلى معناها، أي: تشخيص المعاني وتقريبها من إدراكنا الحسي<sup>(2)</sup>. ومن الأمثلة على هذا النمط قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ ﴾ [الكهف، من الآية:19]، نجد في هذا النص الحوارية تكرر حرف (الطاء، والقاف، والتاء) وهذه الأصوات ثقيلة في النطق<sup>(3)</sup>، التاء: صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس<sup>(4)</sup>. والتاء: صوت احتكاكي مهموس<sup>(5)</sup>. والقاف: صوت لهوي انفجاري مهموس. فتكرر هذه الأصوات يوحي بالتناقل والتعب الشديد فهو يتناسب مع الحالة التي كانوا فيها، فحالهم حال المستيقظ من نوم ثقيل لا يستطيع تركيز فكره إلى شيء معين<sup>(6)</sup>.

ولا تجد أبدع ولا أروع ولا أدق من كلمات الله (عزّ وجلّ) في تصوير هذا المشهد الحوارية الذي تتحرك فيه الكلمات متباطئة متناقلة كأنما تتقلّع من أفواههم، كما تتقلّع حُطَيّ المقيد يمشي على كتيب من الرمال<sup>(7)</sup>. ومن هذا التكرار قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرْبُّنِي وَيَرْبُّنِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [سورة مريم: 4-6]، يتجلى لنا أنّ صوتي (الميم، والنون) قد هيمن على هذا النص الحوارية، فقد تكرر صوت النون عشر مرات، والميم ثماني مرات. والنون: صوت أسناني لثوي أنفي مجهور، متوسط<sup>(8)</sup>، والميم: صوت شفوي أنفي، شديد رخو<sup>(9)</sup>، فالنون تقارب الميم في صفة النطق، فهما صوتان أنفيان، والغنة ملازمة لهما<sup>(10)</sup>. فتكرر هذين الصوتين بغنتهما أحدث جرساً إيقاعياً ونغماً شجياً يتناغم مع الجو النفسي الذي يعيشه زكريا (عليه السلام) جو الحزن والأسى، فصوت النون خاصة يوحي بالشجن والأين وتكراره حقق نغماً شجياً تطيب له النفس، ويأسس إليه السمع والوجدان، ويجعلك تتفاعل وتعيش معه في هذا الجو الروحي.

## 2- تكرر الحرف:

لو تأملنا أسلوب الحوار، وجدنا أنّ المتكلم قد يعتمد إلى تكرر بعض الحروف أو الأدوات، لضرب من التأكيد، ولتقرير مضمون الكلام وإثباته في نفس السامع أو المخاطب. ومن الأمثلة على ذلك تكرر الحرف (أما) فقد تكرر خمس مرات في الحوار القرآني في سورة (الكهف)، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا هَ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَرَدَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ رَّجٍ ﴾ [الكهف: 79-82] و(أما) حرف تفصيل، يراد به، زيادة على تفصيل الخبر وبيانه، توكيد مضمون الجملة أو العبارة التي تقع بعدها<sup>(11)</sup>. وتكرر هذا الحرف في هذا النص الحوارية الصادر عن الخضر إلى موسى (عليهما السلام)، جاء لمتابعة تفصيل وبيان حقيقة، وأسرار هذه الأحداث الثلاثة وتأكيدا وترسيخها في نفس موسى (عليه السلام) زيادة على ذلك إنّ هذا

(1) ينظر: ألفاظ القوة والضعف في القرآن - دراسة أسلوبية صوتية (رسالة): 117.

(2) ينظر: التكرار بين المثير والتأثير، د. عز الدين على السيد: 12.

(3) ينظر: علم الأصوات، د. كمال بشر: 249، والأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: 61.

(4) ينظر: علم الأصوات: 276.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 298.

(6) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: 210.

(7) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: 601/8-602.

(8) ينظر: علم الأصوات: 349.

(9) ينظر: المصدر نفسه: 348.

(10) ينظر: لغة البيان وتجويد القرآن: 155.

(11) ينظر: الأصول: 117/1، والبرهان في علوم القرآن: 242/4، والإحالة في القرآن الكريم، د. عباس على الأوسي: 321.

التكرار حَقَّقَ جرسًا إيقاعيًا في النص وتماسكًا وقوة لتأكيد مضمونه. ومنه أيضًا تكرر حرف النفي (لا)، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم:42]، نقرأ أَنَّ إبراهيم (عليه السلام) كرر حرف النفي (لا) ثلاث مرات، ولفت نظر آزر، وطلب الإصغاء لما سيقع بعده تنبيهًا على فساد عقيدته في عبادة من انتفت عنه هذه الأوصاف، لعله لو تأملها ووقف عندها ارتدع عن غيّه واتبع طريق الهدى والرشاد.

ومن الحروف التي تَكَرَّرت في أسلوب الحوار، حرف التوكيد (إِنَّ) الذي يضيفي على العبارة قوة وجزالة لما يحمله من دلالات إيحائية لطيفة في التوكيد. فقد تَكَرَّرَ أربع عشرة مرة. منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:20]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَبِيحَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:67]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم، من الآية:44].

3- تكرر الاسم: ويشمل أقسام عدة منها:

#### أ- الاسم الظاهر:

لو تأملنا آيات الحوار القرآني في السورتين سنجد كثيرًا من الألفاظ قد أعيد ذكرها بطريقة تستدعي التأمل والتدبر، وتدعونا للخوض في بحثها والكشف عن أسرارها. ومن هذه الألفاظ تكرر لفظة (الرب) فقد تكررت في نحو (26) مرة في آيات الحوار القرآني في السورتين، وخصوصًا في مقام الدعاء. منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف، من الآية:10]، وقوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4]، فهذا التكرار يدل على شدة التوجه والانقطاع والخضوع لله سبحانه وتعالى، ونلاحظ في الأعم الأغلب أَنَّ الإنسان عندما يدعو لنفسه أو عندما يكون في حالة الضعف والانكماش إذا أحزنه أمر يستحضر الربوبية ويشعر بأن لها موقعًا خاصًا في النفس والقلب لما يحمله هذا اللفظ (رَبِّ) من الرعاية والاهتمام والالطف من عند الله سبحانه وتعالى، فاختياره أنسب في هذا المقام<sup>(1)</sup>.

ونجد هذا اللفظ قد تَكَرَّرَ في مواضع عدة، تدل على الكرامات والهبات الإلهية والفيض الرباني لأوليائه، وعباده المؤمنين الصالحين، ومن ذلك قوله تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف، من الآية:95]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف، من الآية:98]، وقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ [مريم:24].

إِنَّ مجيء كلمة (رَبِّ) في النص القرآني يتناسب والمعنى الذي يستدعي مطلب الرعاية الإلهية، والعناية الربانية لِمَنْ يوكل أمره إلى ربه مقرًا بضعفه، وكاشفًا عن عجزه، وموضحًا عن إيمانه بربه.

ومما تكرر أيضًا لفظة (رحمة) ولفظة (الرحمن) فقد تكررت لفظة (رحمة) في آيات الحوار في السورتين (5) مرات، منها قوله تعالى على لسان العبد الصالح: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:82]، ونحو قوله تعالى على لسان الملك في حوار مع مريم (عليها السلام) ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:21]، وهذا التكرار يدل على الرعاية والكرم والإحسان الإلهي والمدد الرباني لأوليائه وعباده المؤمنين المتقين.

أما لفظة (الرحمن)، فقد تَكَرَّرت في سورة (مريم) في مواضع كثيرة بما يلفت الانتباه، فقد تكررت (16) مرة، منها قوله تعالى على لسان مريم (عليها السلام) عندما تمثل لها الملك على هيئة بشر سوي، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَفِيًّا﴾ [مريم:18]، ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) في حوار مع آزر: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:44]. والرحمن وصف خاص بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يقال (الرحمن)

(1) ينظر: من أسرار البيان القرآني، د. فاضل السامرائي: 288.

لغير الله سبحانه. و (الرحمن) على وزن (فَعْلَان) وهذا البناء يدلّ على المبالغة في الفعل والسعة، ويقال: (غضبان) للممتلئ غضباً<sup>(1)</sup>، ((فالرحمن الذي كَثُرَتْ رحمته، وتكررت ووسِعَتْ كلُّ شيء))<sup>(2)</sup>.

إنّ تكرار لفظة (الرحمن) في سورة (مريم) يتناسب مع مضمون السورة المفعم بالمشاعر والأحاسيس التي تستجلب الرحمة والرأفة واللطف، فالسورة تفيض بنسائم الرحمة، ومن ذلك رحمة الله ولطفه بذكرها (عليه السلام)، إذ وهب له يحيى (عليه السلام) مع كبر سنّه، وعقر امرأته، ولطفه وفضله على مريم (عليه السلام)، ثم نعمته السابغة على الأنبياء ورعايته لهم ليؤدوا رسالاتهم. ونجد لمسات الرحمة الندية ومعناها وظلّها تشيع في مقاطع السورة من أولها إلى آخرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:13]، وقوله تعالى: ﴿ فَنادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ [مريم:24] ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم، من الآية:47] ﴿ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم:45]. يتحصّل لنا أنّ إبراهيم (عليه السلام) قد أتى بلفظ (المس) الذي هو أطف في المعاقبة، وهذا يتناسب مع ذكر الرحمن<sup>(3)</sup>.

وقد تكررت بعض الألفاظ في مقام النصح والإرشاد والعظة، فيكون هذا التكرار وسيلة لاستدراج المخاطب، واستمالة قلبه فيناديه ببناء المشفق المتحبيب المتودد<sup>(4)</sup>، ونجد هذا المعنى متحقّقاً في حوار إبراهيم (عليه السلام) مع آزر في قوله: (يا أبت)، إذ تكرر هذا اللفظ (4) مرات؛ استمالة لقلبه وتأكيداً لإحضار الذهن وإمحاء النصيحة، وهذا يدلّ على حرص إبراهيم (عليه السلام) ورغبته الشديدة والملحة في هداية آزر، وإرشاده إلى الصواب<sup>(5)</sup>.

#### ب- تكرار الضمائر:

ومن ذلك تكرار الضمير (نا)، نحو قوله تعالى على لسان أصحاب الكهف: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف، من الآية: 10]، فقد تكرر هذا الضمير أربع مرات في هذا النص الحواري، وتكرار الضمير (نا) بذلاقة النون وامتداد الألف يوحي بعظمة المخاطب من جانب، وخشوع وخضوع وتصاغر المخاطب من جانب آخر. ومنه تكرار الضمير (أنا) فقد تكرر مرتين، منها قوله تعالى على لسان صاحب الجنين: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف، من الآية:34]، وقوله تعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿ إِن تَرِنُنَا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف، من الآية:39]، إنّ تكرر الضمير (أنا) يصور لنا شخصيتين متحاورتين، الأولى: تمثّل شخصية متزاحمة على الدنيا وشهواتها وملذاتها، والثانية: مؤمنة مطمئنة قانعة بما آتاها الله سبحانه وتعالى. فالضمير (أنا) المشفوع بصيغة التفضيل (أكثر) الذي ورد على لسان صاحب الجنين يدلّ على نشوة الغرور والتكبر والأنا النفسي.

ومنه أيضاً تكرار ضمير الخطاب (الكاف، والتاء) فقد هيمن على مجرى الحوار بين موسى والعبد الصالح (عليهما السلام)، فالضمير (الكاف) تكرر (9) مرات، منها: (لك، وإنك، وبينك، وسأنبئك، وذلك)، أمّا الضمير (التاء) فقد تكرر (6) مرات، منها: أخرقتها، وجنت، وشنت، وبلغت، ولاتخذت). ويمكن القول: إنّ تكرار الضمير (الكاف) الصادر عن لسان العبد الصالح (عليه السلام) فيه نوع من اللوم والعتاب والتأنيب لموسى (عليه السلام) لاعتراضاته المتكررة وعدم استطاعته الصبر.

أمّا تكرار الضمير (التاء) يدلّ على عدم إحاطة موسى (عليه السلام) بأسرار وخفايا هذه الأفعال التي صدرت عن الخضر (عليه السلام)، ويوحي بأنّ موسى (عليه السلام) وصل إلى مرحلة يعجز عن مجازاة العبد الصالح العالم، زد على ذلك أنّ الضمير (التاء)، ونيابته عن الاسم الظاهر يدلّ على سرعة إيصال الرّفص من موسى (عليه السلام).

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 1/ 43، والكشاف: 3/ 45، وتفسير القرآن الكريم، ابن القيم: 36-37، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 33/1.

(2) تفسير الراغب الأصفهاني: 50/1.

(3) ينظر: في ظلال القرآن: 4/ 230، والموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين: 5/ 180، 185، والتعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 226-227.

(4) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير: 191.

(5) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 189، ومحاسن التأويل: 7/ 101، والتحرير والتنوير: 16/ 115.

## 4- تكرار الفعل:

قد يقتضي المقام تكرار بعض الأفعال تقوية للمعنى وتوكيده. ومن الأفعال التي تكررت في الحوار القرآني، الفعل (لَبِثَ)، فقد تكرر هذا الفعل في الحوار الذي جرى بين أصحاب الكهف ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لَبِثًا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ [الكهف، من الآية:19]، وورد أيضًا في مواضع أخر من السورة نفسها، منها قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف:25]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف، من الآية:26]. واللَّبِثُ: هو المُكْتَبُ، واللَّبِثَةُ: التوقفُ، يقال لي على هذا الأمر لَبِثَةٌ<sup>(1)</sup>.

وتكرر الفعل (لَبِثَ) فيه دلالات إيحائية توحي بأن هذا (اللَّبِث) سرٌّ من أسرار الله سبحانه وتعالى، وآية من آياته التي تتجلى فيها قدرة الله على إحياء الموتى، وفيه إثبات لصدقية يوم الحشر والنشور، وحجة لمنكري البعث.

ومن الأفعال التي تكررت في الحوار القرآني في سورتي (الكهف) و(مريم) الفعل (كان) ((الذي يدلّ على الإخبار عن حدوث شيء، أما في زمان ماضٍ أو زمان حاضر: يقولون: كان الشيء يكون كونه، إذا وقع وحضر))<sup>(2)</sup>. فقد تكرر هذا الفعل في سورة (الكهف) ست مرات في قوله تعالى على لسان العبد الصالح: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ رِزْقُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا هـ وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ آبَؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرَهُمَا طُعْيَانًا وَكُفْرًا هـ فَأَرْدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا وَّ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: 79-82].

إن تكرار الفعل (كان) في هذا المشهد الحوارية الذي جرى بين موسى والعبد الصالح (عليهما السلام) كان له أثر جلي في تقوية المعنى وتوكيده فقد حقق تماسكًا، ووحدة موضوعية بين هذه الأحداث الثلاثة وهي أنّ هذه الأحداث المنكرة الظواهر بالنسبة لموسى (عليه السلام) والتي لم يحط بأسرارها وخفاياها، لم تقع اعتباطًا، وإنما وقعن عن قصد وتأمل وتدبير؛ تحقيقًا لحكمة الله وإرادته.

أما في الحوار القرآني في سورة (مريم) فقد تكرر فعل الكون (17) مرة، وهذا يدلّ على أهمية هذا الفعل وأثره في إثراء المعنى وتقويته وتوكيده، وأكثر المواضع التي ورد فيها هو للدلالة على الثبوت واللزم، ومنها قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ [مريم، من الآية:8]، أي: إنّ الوصف هنا ثابت ومتمكن فيها<sup>(3)</sup>، ولما يَزَلْ. وورد أيضًا على لسان إبراهيم (عليه السلام) في حوار مع أزر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم، من الآية:44]، فالفعل (كان) جاء هنا لتأكيد الوصف وللدلالة على أنّ الوصف هنا متمكن وثابت فيه، فهو لا يفارق عصيان ربه، ولا يأمر إلا بما ينافي الرحمة ويفضي إلى النعمة<sup>(4)</sup>.

وقد ورد أيضًا على لسان مريم (عليها السلام) في حوارها مع الملك جبريل (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم، من الآية:20]، جاء الفعل (كان) لتأكيد النفي، وتبرئة نفسها من البغاء<sup>(5)</sup>.

يتضح لنا مما سبق أنّ ل(كان) في منظومة الجملة الفعلية العربية أثر دلالي عميق لازم جدًّا في مواضع ورودها يتراوح بين إضفاء الدلالة الزمانية على المسند إليه ووصفه بالمسند من جهة، وبين إضفاء صفة الديمومة عليها من جهة أخرى، اتصالاً بالمعنى المتحصّل عن (الكيونة) المطلقة.

ومن الأفعال التي تكرر، الفعل (وهب) فقد تكرر مرتين في الحوار القرآني في سورة مريم، نحو قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم، من الآية:5]، وقوله تعالى على لسان الملك في حوار مع

(1) ينظر: العين: 227/8 (لبث)، وتاج العروس: 338/5 (لبث).

(2) مقاييس اللغة: 148/5 (كون).

(3) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم: معين رفيق صالح (رسالة): 110.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 171/16، ودراسة أسلوبية في سورة مريم: 110.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب: 91/11، وتحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، د. محمود عكاشة: 251.

مريم (عليها السلام): ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:19]، وتكرار هذا الفعل يدلّ على إحسان الله ورحمته وكرمه ولطفه وعنايته برسله وأوليائه، وعظيم منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى.

يتحصل لنا مما سبق أن الفعل (وهب) فعل ملؤه الكشف لجأ الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) إلى الله تعالى طلباً لمواهبه وعطاياه اعتقاداً بأنه هو وحده من يهب تلك العطايا، ومن بيده تلك المواهب، إذ إنه الوهاب الذي تُرفع إليه الأكف، وتتوجه إليه الوجوه.

ومما تكرر أيضاً الفعل (قال)، يُلاحظ في أسلوب الحوار أنه غالباً ما يكون مبدوءاً بفعل القول ومشتقاته، وأحياناً يبدأ بفعل الحوار صراحة، كشافاً لما سيجري بين متحاورين اثنين، أو لما سيجري حواراً بين اثنين، ولكن النص يتضمن جزءاً لواحد منهما فقط، من دون الآخر، اكتفاءً به وإيحاءً لدلالات هامشية كثيرة تستتبط من النص، وقد تكرر فعل (القول) في الحوار القرآني في سورتي (الكهف) و(مريم) في نحو (49) مرة. ومنها قوله تعالى على لسان صاحب الجنيتين: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف، من الآية: 35]، وقوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام): ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:66]، ومنها قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4]، وقوله تعالى على لسان مريم (عليها السلام) ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم:20].

يتحصل لنا مما سبق أن ذكر فعل (القول) ومشتقاته يفصح عن حركية الحوار وتتابعية النقاش، وتوالي العرض للمطالب والمواقف وما ينتج عنها من توجيهات وتنظيم. ولعلّ معقد الدلالة الرئيس لكلمة (قول) وهو الحركة والسرعة – كما بينها ابن جني<sup>(1)</sup> – يستدعي تكراره في مواضع الحوار.

ومن ذلك تكرار الفعل (أصبح) مرتين على لسان الرجل المؤمن في حوار مع صاحب الجنيتين في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِصِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْحِحَ مَائُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا لَّكَ﴾ [الكهف: 40-41]، نلاحظ في هذا النص أن الرجل المؤمن عند حديثه عن نزول العقاب والعذاب قرن حلولها ب(الصباح)، وعند استقراء آيات القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى اختار (الصباح) ميقاناً لهلاك الظالمين وعذابهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود، من الآية: 81]، وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [العنكبوت:37]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بَكْرَةٌ عَدَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [القمر:38]. نقرأ من استعمال الفعل (أصبح) في مواضع العقوبات الإلهية دلالتين رئيسيتين، هما:

أولاً: إنّ الصباح مسفر وكاشف لمجريات الأمور الميدانية، فلا سائر على هذه المجريات وقت الصباح، إذ إنّ نور الشمس قد جعل ما على الأرض بيئاً ومكشوفاً ومرئياً، فالعقوبات الإلهية عندما تقع في الصباح تكون مكشوفة وواضحة، ليعتبر بها الناظرون، وليشهدوا الحاضرون.

ثانياً: إنّ وقت الصباح هو وقت النشاط والقوة، إذ إنّ الإنسان عندما يستيقظ من نومه الليلي، يكون جسمه قد استوفى استحقاقه من المؤهلات للعمل الحركي، ويزداد قوة، فهو يأخذ من أشعة الشمس ما يقوي عظامه ويدنه، ويخلصه من مجموعة من المؤثرات الصحية، أي: إنّ الإنسان يكون في ذروة قوته عند الصباح، فعندما تنزل العقوبة الإلهية وقت الصباح، فإنّها تلقي الحجة على الجاحدين والمعاندين، أن استحضروا قوتكم وعنادكم، لردّ هذه العقوبات. إنّ هاتين القراءتين عن الفعل (أصبح) لا يمكن أن تقرأ عن غيره من الأفعال والكلمات.

##### 5- تكرار الجملة:

قد تتكرر بعض الجمل في النص القرآني للعناية والاهتمام بمضمون هذه الجملة وتقريره وتوكيده في نفس السامع، أو المتلقي، ومما ورد في الحوار القرآني في سورتي (الكهف) و(مريم) قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:67]، جاء تكرار هذه الجملة المؤكدة ب(إنّ) و(لن) والتقديم والتأخير في قوله (معي صبراً)، ليفيد التأكيد والتثبيته،

(1) ينظر: الخصائص 5/1، 23.

وهذا يؤكد أن موسى (عليه السلام) لن يستطيع الصبر مع العبد الصالح (عليه السلام) حتى لو تحسّم الصبر، لغرابية الأحداث التي وقعت، وموسى (عليه السلام) لم يحط، أو لم يعلم بأسرارها وخفاياها.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾ [الكهف، من الآية: 71]، تكررت هذه العبارة المؤكدة بـ(اللام الموطنة للقسم) و(قد) التحقيقية، واستعمال الفعل (جئت) الذي يُستعمل في المواقف الشديدة<sup>(1)</sup>، والمهمة التي تتطلب جهداً ومشقة. يشي بأن موسى (عليه السلام) كان في غاية الإنكار والاستغراب والدهشة من هذه الأفعال التي صدرت من الخضر (عليه السلام). ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم، من الآية: 9]، تكررت هذه الآية مرتين في الحوار القرآني في سورة (مريم)، للدلالة على عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى، ولتأكيد هذا المعنى وتقريره في نفس السامعين، ولبث الطمأنينة في نفس زكريا (عليه السلام)، كما يوحي بذلك تكرار الجملة الاسمية، والتقديم والتأخير في قوله: ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

وكذلك في قضية مريم (عليها السلام) جاء تكرار هذه الجملة لتأكيد هذا المعنى وتوثيقه، ولبث الطمأنينة في نفس مريم (عليها السلام)، وإزالة أي ريب أو شك يخطر لدى السامعين في هذا الخبر، من تقليل لشأنها أو ارتياب في حقها<sup>(2)</sup>. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَوَدَّخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا بِرَّ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 35-36]، ((الظن: بمعنى الاعتقاد، وإذا انتفى الظن بذلك ثبت الظن بضده)). أي: إنه لا يعتقد أن هذه الجنة تفنى وتضمحل، ويستبعد قيام الساعة. تكرر جملة (ما أظن) يدل على طول أمله وتمادي غفلته وضعف يقينه بالله سبحانه وتعالى، وغروره وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها<sup>(3)</sup>.

#### خاتمة البحث ونتائجه

بعد هذه الرحلة الماتعة والمضيئة في رحاب الكتاب العزيز والتي تمّ من خلالها تسليط الضوء على أسلوب التكرار في نظم الحوار في سورتي (الكهف) و(مريم)، وقبل أن ينضب المداد الذي لا ينضب أضع بين يدي القارئ الكريم قطعاً من نتائج البحث وفوائده.

- 1 - نجد في سياق نظم الحوار في السورتين توظيفاً جمالياً، وحضوراً وافراً لأسلوب التكرار فقد تعددت أنواعه، ومواضع استخدامه، وأغراضه التي ينطوي تحتها.
- 2 - إن من النتائج التي تمخض عنها هذا البحث أن للتكرار في نظم الجملة الحوارية أكثر من دلالة منها ما يتعلق بالجانب الصوتي، كتكرار بعض الحروف وما ينطوي تحتها من دلالات، ومنها ما يتعلق بالجانب المعنوي كتكرار لفظ (الرب) فقد تكرر هذا اللفظ في أكثر من مرة للدلالة على شدة الانقطاع والتوجه إلى الله كقوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4]، وتردد في مواضع أخرى للدلالة على الكرامات والهبات الإلهية كقوله تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف، من الآية: 95] وقوله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف من الآية: 98]
- 3 - إن طائفة من الكلمات تكون معقداً للحوار ومنها (أما) التي تفيد التفصيل، فقد ثبت لنا بالنص القرآني أنها أساس للمحاورة التي يفصل فيها أحد طرفي الحوار للقول في الكشف عن أحداث تستدعي البسط والتفصيل والتبيين
- 4 - إن تكرار فعل (القول) ومشتقاته في مواضع الحوار يفصح عن حركية الحوار وتتابعية النقاش وتوالي العرض والمواقف وما ينتج عنها من تنظيم وتوجيهات.

(1) ينظر: من أسرار البيان القرآني: 40.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 320/15.

(3) ينظر: تفسير القرآن الكريم: 142/5.